أدب القصة فى الاتحاد السوفيتى
أثنـاء الحرب

لقد ظل صوت الشعب الروسى لا يسمع مدة أربع سنوات فى غير البلاغات الرسمية التى لا يعرف كاتبها . أما الآن فقد أخذت السنما السوفيتية تطلعنـا على الوجوه الحقيقية للمقاتلين فى ميدان القتـال وفى الأراضى المحتلة وفيما وراء ميدان القتال ، وغداً يستطيع كل إنسان أن يسمع صـوت هذا الشعب حيا فى مؤلفات كتّابه ؛ إذ أن الأدب الروسى كله ، أو يكاد يكون كله ، فى زمن الحرب ، من آداب الحروب .

كان فى ميدان القتال تسعمائة من الكتّاب ، هل هم مراسلون حربيون ؟ إن هذا الوصف لا يعبر عنهم ، فهم كانوا يقاتلون مع الجنود ، ويعيشون وكثيراً ما يموتون معهم . هكذا حـدث من بين كثيرين للكاتب « ا. بولياكوف » وهكذا حدث للقصصى « يورى كازيموف » الذى نقلت عنـه قصته الأولى « الباخرة دربنت حاملة البترول » إلى الفرنسية (سنة ١٩٣٨) وسقط قتيلا فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤١ « بعد أن قاتل حتى النقطة الأخيرة من دمائه » . لقد قال ستالين : « إن الرجل المثقف يجب أن يكون رجلا سياسيًا » . ومعنى هـذه الكلمة فى تعبير أفلاطون « أن يكون عضواً عاملا فى الهيئة الاجتماعية » .

ربما دهش الشعب الفرنسى بعض الشىء لتعبئة الكتاب على هذه الصورة ؛ فهم سيتذكرون فى اشمئزاز عادل أولئك الذين اتخذوا مرتين فى هذا القرن دماء الآخرين وسيلة لانشاء أدب بطولة له رواج فى الأسواق . ولـكن مما يسترعى النظر على العكس من ذلك فى المؤلفات الروسية عن الحرب أن أبطال هـذه المؤلفات ليسوا عادة أبطالا ، ففيها مغامرات عجيبة . والمغامرات دائماً من طبيعة الحروب ، وسماعها مما يثير الشجاعة فى النفوس ، ولـكن فيها أيضاً قصص الجبن والخيانة والآلام والتعاسة ، وفيها أكثر من ذلك ما ليس عظيما ولا حقيراً ، فيها الحيـاة ومضايقات الأيام واليأس الذى لا يذكر اسمه ، والجندى الذى يذكر أنه

رجل . وقد قيل كل هذا وسط القتال بل وسط الهزيمة أحياناً ؛ إذ أن مايهمّ ليس هو الأسطورة — فالأساطير تنمو من تلقاء نفسها — وإنما هو الحقيقة الصعبة .

ظل الأدب الروسى حتى هذه الحرب متجهاً نحو دراسة واكتشاف الرجل الجديد الذى نشأ من أيام ثورة أكتوبر و « بب » فى هذا القالب الجديد . وفى هذه « الحرب الوطنية الكبرى » كما يسمونها فى تلك البلاد تحول الرجل السوفيتى وخلق خلقاً جديداً إذا صح هذا التعبير . كيف انتقل من الكراهيـة النظرية للفاشية إلى الكراهية المجردة ثم إلى الاحتقار ثم إلى الاشمئزاز ؟ وكيف تغلب على العدو وعلى نفسه ؟ هذا البحث باهتمام عن إجابات لهذه الأسئلة فضلا عن مسائل عدة أخرى هو الاتجاه العام البارز فى الأدب الروسى فى زمن الحرب . فهو أدب لايكتفى بمجرد أقوال خطابية فى الوطنية المزيفة ، بل ليس هو أدب قصص كبيرة بالمعنى المفهوم ؛ فليست الساعة هى وقت الاتساق الواسع ، إن مايهم هو التسجيل .

وهكذا نشرت مؤلفـات مثل كتاب « أوريل » وكتاب « ستالينجراد » ولا يمكن أن يصل التخصص والابتكار إلى أبعد من ذلك . ففى أول الكتاب نصوص رسمية : نداءات وأوامر وبلاغات خاصة ثم رسائل من المقاتلين وصور وروايات تختلف من حيث القيمة الأدبية ؛ إذ أن بعضها موقع عليه بأسماء مجهولة أو غير معروفة ، وبعضها بأسماء مشاهير الكتاب (إهرنبرج وتيخونوف وجورباتوف وجروسمان وفدييف . . .) . وهذا مزيج قد يظهر مختلطاً فهل يجنى منه الأدب كثيراً ؟ ومع ذلك فكل هذه النظرات النافذة كثيراً أو قليلا وكل هـذه الصور الملونة كثيراً أو قليلا ، أليست هى النظرة الشاملة للمجموع ، أليست هى الحقيقة ؟ -

لقد نشرت مقتطفات من مذكرات الطريق للضباط الألمان والجنود ، وجمع إهرنبرج فى مجموعته « مائة رسالة » خطابات تبادلها مع المقاتلين ، ووصف ا . بوليانوف وكان معلماً سياسيًّا وأحيط بفرقته فى يونية سـنة ١٩٤٢ — فى « مذكرة الطريق » كيف تمكنت فرقته من العودة إلى الاتصال بالخطوط الروسية . وهذه المذكرات التى نشرت تحت عنوان « فيما وراء العدو » بعيدة عن أن تكون عملا أدبيا لكاتب . فالأسلوب جاف وكثيراً ماتنقصه الألوان ولم يبذل جهد فى تأليف المجموع ، ومع ذلك ليس من شك فى أنه كبير القيمة لأن لغته هى لغة الحقيقة ، ونحن نقرأ الكتاب فنقول « إنه كالقصة » .

* * *

إن من واجب الفرنسى أن يضع إليا إهرنبرج فى الصف الأول من كتاب السوفيت، لا لأنه أكبر الكتاب بل لأنه ظل أربع سنوات موضع سخط الصحافة الألمانية التى تصدر بجميع اللغات بما فيها الفرنسية، ولأنه بينما الأصوات الرسمية والشبيهة بالرسمية التى تزعم أنها فرنسية كانت تنهال عليه بالاهانات وتهين عن طريقه روسيا السوفيتية بأسرها، أخذ يقوم بواجب خطير هو أن يسمع فى بلاده صوت فرنسا الذاهبة. ولسنا نستطيع أن نتكلم عن كتابه الذى ظهر عن « سقوط باريس » فى بضعة أسطر؛ ففى ذلك خيانة له. وسيثير هذا الكتاب مناقشات؛ ونقداً فهو ليس بالكتاب الكامل ولكنى أظن أنه ما من فرنسى يستطيع أن يتلو تلك القصة المؤلمة للسنوات المحزنة بين ١٩٣٥ و١٩٤٠ دون أن يتأثر. وليس من حق أحد أن ينسى أن هذا الكتاب من وضع روسى. وكم من الفرنسيين يستطيع أن يضع كتاباً مماثلا عن روسيا السوفيتية يدل على الذكاء ونفاذ البصيرة؟ بل كم من الفرنسيين يستطيع أن يضع كتاباً مماثلا عن فرنسا؟

إن فيه أخطاء فى التفصيلات وشيئاً من التطويل فى مواضع، وقد يعارض بعضه التفسير السياسى للحوادث، ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر رنة الحقيقة فى مجموعه وعمق الصور وصدقها، وهذا هو السبب فى نجاح الكتاب بروسيا نجاحاً عظيما. فقد تعلم منه الروس ألا يخلطوا بين فرنسا وتلك الشرذمة من الخونة المسئولة عمداً أو عن غير عمد عن بوليه ١٩٤٠ وعن نظام فيشى، على أن ما يضايق القراء الفرنسيين إلى حد ما هو شىء من التناقض. فهذه القصة القائمة على حدود التاريخ ليست قصة تاريخية، والشخصيات «التاريخية» لم تذكر إلا على سبيل السرد وليس لها أى دور هام، ولكن المسيطرين على الحوادث فيها والصور « السياسية » التى درست فى عناية ودقة إنما هى شخصيات من وضع الخيال مثل فيار وتيرا وجرودل. وستظل هذه أمام الفرنسيين اشخاصاً غير حقيقية، وهم يحاولون البحث عن سر الشخصيات الحقيقية المختفية وراءها. فهل وراءها شىء حقيقة؟... إنها ليست إلا رمزاً وخلاصات أحياناً، والفرنسى لا يرتاح إلى هذه الصور المجردة.

لقد أخذ إهرنبرج فى وضع تكملة « لسقوط باريس » هى « نهضة باريس »،

على أنه كتب عدة مقالات وقصص صغيرة لا سيما مجموعة فرنسا سنة ١٩٤٣ (وهو يقول إنه لم يغير فى الوقائع غير الأسماء) حيث رسم صوراً حقيقية وقوية لفرنسا الناهضة المنتصرة . ولقد قال لنا فى مطلع سنة ١٩٤٥ « إنى لأتمنى ألا تنسى فرنسا مطلقاً » وإنا لنتمنى أيضاً ألا تنسى مطلقاً ما عليها من دين لإهرنبرج .

* * *

إن قراءكتابى « فوق نهر الدون الهادئ » و « إنقاذ الأراضى البائرة » سيقبلون فى سرور على كتب ميشيل شولوكوف الجديدة ؛ فلعله نجح أكثر من أى شخص آخر فى أن يرسم للجندى الأحمر صورة إنسانية فى كتاب « علم الكراهية » وهو ليس إلا قصة طويلة ، وبصفة خاصة فى مؤلفه « إنهم قاتلوا من أجل الوطن » وهو كتاب كبير لم تظهر منه غير مقتبسات فى عدة صحف ومجلات ؛ فهو يصف الجنود فى أيام الارتداد المؤلمة وهم فى أعمالهم اليومية الحربية . وهم بلاريب أبطال ، ولكنهم أيضاً جنود بسطاء كأمثالهم فى العالم ساخرون أحياناً وغاضبون على الطائرات التى لا تظهر إلا متأخرة أو الرماة بالمدافع الذين يرمون إلى مسافات أبعد من خطوط العدو ، فهم رجال عاديون يصعقون إذا ما هدأ القتال إلى قطع الحجارة الرملية وهى تتساقط من جوانب الخنادق فيكون لها رنين كأنها نواقيس غير منظورة ، ثم إلى صوت صرصور صغير ، ثم إلى تنهد عميق أشبه بالعزف على وتر غليظ من أوتار قيثارة ، ثم إلى صياح السمان المعروف يقطع السكون بمعجزة .

وبإزاء هذه الصور « الفردية » المحددة للحرب نجد كتاباً مثل « أوريل » لقسطنطين سيمونوف (الذى سوف نتكلم عنه عند الكلام عن الشعر) يظهر لنا موقعة وهى فى أثناء سيرها . فالجنرال برايا نكنيكوف وهو من أبطال ستالينجراد (وقد رقى هنالك) يريد أن يؤلف فرقة من مقاتلى ستالينجراد وهو يلقن الحديثين دروس الدفاع الناجح العظيم ، فهو يريد أن يخلق « تقليداً لستالينجراد » يحذوه الناس ، وعلى مقربة من أوريل تقوم الموقعة ، فنحن لانرى غير شخص واحد هو الفرقة وكيف تعيش وكيف تقاتل كما يراها زعيمها ، وهى تعيش وتقاتل كأنما لها جسد مثل جسدنا . وهكذا يظل سير الموقعة واضحاً

حتى للشخص العادى ، دقيقاً بل حيًا وقد بعثت فيه الحياة الاجتماعية للفرقة .

ونرى نظرة مماثلة فى « لننجراد » لنقولا تيخونوف وهو فى شكل مذكرات يومية للمدينة من مايو سنة ١٩٤٢ إلى مايو سنة ١٩٤٣ وكل فصل منها عن شهر خاص ، ومجموع الكتاب يؤلف وجه المدينة بأسرها برماتها المنتخبين وأطفالها حاملى البريد . ولقد عاش تيخونوف بالمدينة أثناء حصارها ووضع كتاباً أسماه « قصص لننجراد » وفيها وصف للبطولة وغير البطولة وهى مع ذلك قصص مغامرات فردية . أما فى كتاب « لننجراد » فتلك قصة المدينة مجتمعة وهى تخور بوقوفها فى وجه المنطق ؛ وهى مدينة بطرس الأكبر ، ثم مدينة ثورة أكتوبر وهى الآن أمام العدو مدينة لنين التى لا تقهر وفيها بين صور أخرى — فى فصل لننجراد فى مايو سنة ١٩٤٣ — صورة المدينة ينظر إليها من الخليج فى ليلة من ليالى ضربها بالقنابل ، وتلك صفحات من العظمة والشعر لا يمكن نسيانها .

كان يعيش ويكتب فى لننجراد غير تيخونوف كاتب كبير هو ا . فدييف . ومما يسترعى النظر أنه إذا قابلنا بين كتابات الشاهدين وجدنا الأعمال نفسها والعواطف نفسها ، لا سيما ذلك الفخر للتمسك بالدفاع وإعادة الحياة إلى مدينة ظنها الألمان محكوما عليها بالموت . فكتاب فدييف المسمى « لننجراد فى أيام الحصار » كتب فى ربيع سنة ١٩٤٢ بعد الشتاء الأول الذى كثر فيه الثلج ونزلت الكمية من الخبز للفرد إلى مائة وخمسين جراماً فى اليوم . ويجب أن ننتظر قبل أن تصير هذه الصفحات من اليوميات المؤرخة بين ابريل ويوليه سنة ١٩٤٢ صفحات للانتصار . ولاينسى فدييف أن يشرك النساء والاطفال مع الرجال ولكن ما يفسر لعيليه ما يقومون به أكثر من أى شىء هو ما يشعر به الجميع من أن تلك المدينة دارهم الوحيدة العظيمة وأن السكان جميعاً يؤلفون أسرة كبيرة مشتركة .

وفى الجانب الآخر من روسيا كان هنالك مدينة عظيمة موضع نصر عظيم : ستالينجراد ، لقد مر فيها سائر كبار الكتاب الروسيين تقريباً وتركوا دراساتهم وقصصهم ، ونشر محل كولبير بالفرنسية رواية قسطنطين سيمونوف المسماة «أيام ستالينجراد ولياليها » . وتجب قراءة هذا المؤلف فهو يقص قصة وحدة من وحدات الجيش عبرت نهر الفولجا لنجدة الذين يقاتلون فى المدينة ، وما كادت تصل فى غسق الليل حتى اشتركت فى جحيم قتال الشوارع . وكان عليها أن تسترد

ثلاثة من الدور وتحتفظ بها ، وقد فعلت ، وظلت هذه الوحدة تصطلى هذا الجحيم أياماً وليالى ، وليس ما يخفف عن كابتن سابوروف حتى ذلك الحب الذى ازدهر ازدهاراً غريباً بينه وبين « آنيا » الممرضة ، ولم يؤد إلا لأن يعرف العاشقان الخوف . وفى ذات صباح سمع الذين بقوا فى الحياة من تلك الوحدة شيئاً ! فمنذ أربعة أيام كان قائدهم يستيقظ قبل ابتداء النهار ليستمع ويتأكد من أن « الشىء قد بدأ » وأخيراً استطاع أن يتحدث فى التليفون إلى كابتن سابوروف ليسأله هل سمع هو أيضاً ، ويسأل سابوروف بدوره رجاله ويصغى الجيش بأسره ويستمع ويفهم أن الجحيم انتهى لأن « الشىء » قد بدأ « ولم تكد تمض ساعة على استمرار هذا ، ولا يمكن أن نقدر الحياة بدون هذا الهزيم العجيب للمدافع »

أما فاسيلى جروسمان فهو أقرب إلى طريقة نقل أنباء الصحف فى كتابه « ستالينجراد » . وهو نقل للأنباء يبلغ أحياناً فى البعد عن التنميق درجة البلاغات الرسمية كما فى مقاله المسمى : إدارة الهجوم الأساسى (أو محور المجهود الأساسى) . فهذا المقال ليس إلا وقائع وأرقاماً ولكن قصة المجهودات التى بذلها الألمان فى نوفمبر سنة ١٩٤٢ للقضاء على المدينة تصل فى صورتها إلى قوة عجيبة ، وهى أكثر من أن تكون نموذجاً فى عرض الخطط وإنما هى قصة مغامرة لم يعد للرجال فيها وجود على أنهم أفراد بل هى قصة القوى الهوجاء المجهولة التى تسير بالحرب . ولكن جروسمان يعرف كيف يحلل النفس الإنسانية فى كتابه « الشعب خالد » مثلا ولا سيما فى قصته الجميلة « الحياة » يصف سبعة وعشرين جنديا أحيط بهم فالتجأوا إلى منجم فى حوض الدونتز ، فأرسل الألمان شيخاً مع ثلاث نساء لإقناعهم بالخروج من المنجم وإلا انتقموا من المدينة ، فإذا الشيخ يبقى فى المنجم وكان قديماً من عماله وغمرته السعادة للعودة إليه ، وهذا الشعور نحو المنجم هو شعور مضحك بعض الشىء ومؤثر للغاية فى الوقت ذاته . وهو يقص انه زار هذا المنجم عند عودته من الأسر فى الحرب الأخرى قبل أن يزور امرأته لأنه كان يشعر بوحشة لانقطاعه عنه وهو يبكى الآن إذ عاد إليه ثم ينقذ اللاجئين إذ يكتشف مخرجاً لهم ولكنه لا يخرج معهم بل يجد الموت فى قاع هذا المنجم وهو موت يتقبله فى هدوء وغبطة بل فى فخر لأنه أجمل ميتة كان يتمناها

كذلك نجد شخصيات مضحكة ومؤثرة فى مجموعة ف . كافرين المساء « لم نعد كما كنا » مثل ذلك الجريح التعس « لاسوف » الذى كان يموت من الضيق أكثر من الجراح إذ لا يكتب إليه أحد رسائل . وفى ذات يوم تأتيه رسالة من مجهول تتبعها رسائل فتعود إليه الرغبة فى الشفاء ويشفى وهو يحلم بأن التى تراسله سيدة كبيرة أو ممثلة سينما ، فإذا انقطعت الرسائل فهم أن كاتبتها هى « لوكا » الممرضة .

وحدث أن مرضت بدورها مرضاً شديداً خطيراً ، وتعود ثانية فيعهد إليها فى ان تكتب ردا على رسالة المرأة المجهولة ، ويحمر وجه الاثنين ويسكتان ، وفى المساء كان الجو صافياً ، فخرج « فلا سوف » يبحث عن « لوكا » فيفاجئها وهى تكتب رسالة الوداع له فهما عاشقان إذن ولكن كلاً منهما لا يعلم لماذا كان هذا الحب وكيف تولد . ونجد فى المجموعة كلها مثل هذه الرقة . وقلما يسمح المؤلف لنفسه فى نظرة صغيرة ساخرة (كما فى قصة « قلب بسيط » ، وهو يتكلم أيضاً عن التحمل فالناس تحت ضغط الحرب يتغيرون فهو إلى جانب تلك الإحساسات التى لا محل لها بعض الشىء يصف رجالاً قتلت فيهم الحرب كل إحساس أو رفعتهم إلى أعلى من نفوسهم الصغيرة فهم نوع واحد ؛ لأن كلاً منهم لايستطيع الحياة إلا من أجل أمر أكبر من حياتهم . فهو يصف هؤلاء البحارة الذين يقاتلون لكى ينقذوا صورة من رسم « تيزيان » وهؤلاء الطيارين الذين يناضلون بعد أن سقطوا فى البحر وهم على خشبتهم من أجل الحياة لأنهم « يعرفون بأن الواجب يقضى بألا يموتوا إذ أمرت القيادة صراحة بأن يحرصوا على الحياة » .

ولنذكر فى نهاية هذا العرض القصص الأساسية للحرب ، فنذكر ليونيد سوبوليف الذى كتب « حياة البحارة » وليونيد سولوفيف المراسل البحرى فى سباستوبول الذى رسم فى بحارة البحر الأسود (١٩٤٢) وفى « إيفان نيكوبين » البحار الروسى (سنة ١٩٣٤) صورة حية لمعيشة البحارة الروس فى أثناء القتال

وظهر أخيراً كاتب شاب (وقد ظهر مرتين لأنه استحق لقب بطل الاتحاد السوفيتى) وهو جورج برزكو ، فقصته : « اللهب الحمراء » تدل على ثبات فى الرواية وقدرة على التحليل تسترعى النظر وتعلق آمالاً كبارا على مؤلفها .

* * *

ليست الحرب هى مجرد الوقائع الكبيرة أو الصغيرة بل هى أيضا البلاد المحتلة والمصانع . ولم يهمل المؤلفون الروس فى رسم هذين الوجهين من وجوه الحرب وهما ربما كانا أقل بروزاً ، ولكنهما لا يقلان تأثيراً .

ولقد أدت السينما إلى أن عرف العالم قصة فاندا فاسيلفسكا الرائعة المسماة « قوس المطر » فليس من أحد شاهد هذه القصة يستطيع أن ينسى مأساة تلك القرية الصغيرة المحتلة . فهذه القرية إن هى إلا صورة مصغرة لجميع بلاد روسيا المحتلة . وإنى لأعرف ما يمكن أن يوجه إليها من نقد إذ يقال أن القصة كاملة أكثر مما يجب ؛ فهى إذاً بعيدة عن الحقيقة ظاهرة التعمل ولكن لا الأشخاص ولا الوقائع هى مجرد رموز ، ولنتذكر : ألم يكن الحال مثل ذلك فى فرنسا ؟ ألم تعرف فرنسا تلك الأم المعذبة وأطفالها المرهقين ورهائنها بل هذا العمدة الخائن المتجبر أمام مواطنيه والضعيف الباكى أمام محاكميه . وذلك الألمانى الذى يقتل أطفاله ويكتب رسائل حب لزوجته بينما هو يخونها مع فتاة يحتقرها ؟ ألم يعرف الفرنسيون تلك الكراهية وتلك المتاعب وتلك الحماسة التى عرفها الروس ؟ أليست هذه هى الحقيقة نفسها .

أما الصورة التى يرسمها بوريس جورباتوف فى روايته « الذين لا يقهرون » فهى أكثر كمالا فهى صورة الجيش المرتد يخترق القرية ثم القرية فى يد العدو وإجبار الكهول على العمل وهرب الابن الأسير الذى لا يريد « تاراس » الشيخ أن يعترف بأنه ابنه إذ فضل التسليم على الموت ولا سيما أولئك الكهول والنساء الذين حملوا على عربات اليد كل ملابسهم وما يملكون وهم يسيرون بلا انقطاع نحو الأراضى التى لم يجتاحها العدو ليستطيعوا مبادلة مناعهم بشىء من الطعام . ولقد تركت أم وهى تهجر أبناءها قليلا من البطاطس بعد أن قسمتها بينهم قسمة متساوية ، وفى كل يوم تحسب الأم حساب ما تبقى وفى يوم دل الحساب بأنه بقى لهم نصف المئونة فهى تعود إليهم خاوية اليدين أما رفاقها فلا يقولون شيئاً ولا يحاولون منعها بل يتابعون السير وهم على عقيدتهم فى الأرض المباركة . وهكذا يقابل الشيخ « تاراس » ابنه الثانى وهو مكلف بمهمة وراء خطوط العدو

ويكون سرور الشيخ عظيما إذ يعلم أن الجيش الأحمر لا يزال قائماً وهو يقاتل بعيداً نحو الشرق فهو إذن سليم ، ويقفل تاراس عائداً إلى قريته ليجد منزله وقد نهب وابنته وقد شنقت ولكن عقيدته لا تتناقص فهو من فريق الذين لا يقهرون ، وهذا ما يجعل القصة غير خانقة ، تلك العقيدة وذلك الإيمان الثابت الذى يقوم فى وجه الحقائق ثم أحياناً عدم الاهتمام العجيب وذلك النسيان المدهش حين تسمع نغمة عزف « الأكورديون » وسط أسوأ المواقف .

أما القصص عن « ميدان القتال فى المصانع » فليس فيها تجديد كبير فى الأدب الروسى وهى تشمل قصص المصانع وقصص العمل التى ظهر مثالها فى الأدب السوفييتى فى قصة « الصلب المسقى » لنقولا أوستروفسكى وفى « دون أن يسترد أنفاسه » وهى لأيليا إهرنبرج ، فهى ترسم صورة الرجل الذى تريد روسيا الجديدة أن تخلقه وهو قادر على أن يعيش من أجل العظمة الصناعية للاتحاد السوفييتى كما يعيش بعض الناس من أجل حب كبير أو عمل حربى عظيم . فرواية ماريتا ساجنيان المسماة « مجهودات الحرب فى الأورال » وأنا كارافيون المسماة « سادة العمل الستالينى » وناتان ريباك « الأسلحة معنا » واركادى رفنتز « التجربة » كلها ترمى إلى هذا ، والأخيرة قصة مصنع للطيارات فى « أوكرين » أنشىء فى أثناء مشروعات الخمس سنوات وكان من الواجب نقله إلى الشرق . ولهذا المصنع وهب رئيس المهندسين « دوبنكو » حياته ، فهو ابن عامل ارتفع فى سلم الحياة بمجهوده وهذا المصنع مصنعه وكل طيارة يخرجها هى جزء منه كما لو كانت شعراً أو صورة . والمصنع الآن هو تحت نار القنابل ويجب فك الآلات لنقلها قطعة قطعة . وعرف دوبنكو « تجربة الهدم المرة : وقد تقلصت من نفسه فى ذلك الوقت غريزة الإنشاء » وكذلك حزن العمال على هدم آلاتهم وترك مقتنياتهم ولا يستطيع أحدهم « كومنكو » أن يبتعد عن مصنعه (إذ ليس له فى العالم غيره بعد أن أبيدت أسرته) ويموت فى المصنع عند ما يدمر ما لا يمكن نقله من بناياته وآلاته ثم يكون وصف « الأورال » والمصنع الجديد والزملاء الجديدين الذين يتجمعون فى البيوت كى يدبروا مكاناً للمهاجرين ، فهل هذا المصنع جديد ؟ لا ، إنه المصنع نفسه فيه الحماسة ذاتها والرجال أنفسهم والمجهود الكبير للانشاء والحرب .

نستطيع أن نهز أكتافنا إنها قصة تنتهى نهاية حسنة ، قصة دعاية ، بلا ريب ولـكنها قصة جيدة ، قصة تفاؤل وإيمان ، وقد قام مؤلفها عند كتابتها بواجبه كمقاتل — لنا أن نقول ذلك ولـكن الحوادث أيدته فيما ذهب إليه .

منيه برنار ماركيه

نقلها عن مجلة «بارو» الفرنسية حسن محمود